المادة لا تنعدم

للأستاذ احمد امين

هكذا يقول علماء الكيمياء ويشرحون قولهم ، ويبرهنون عليه . ويرون أن المادة تتغير وتتحول وتعود الى عناصرها الأولى ولكن لا تنعدم ، والعالم كله كساقية جحا : تغرف من البحر وتصب فى البحر ، فقد يحترق هذا المكتب الذى أمامى لا قدر الله ، ولكنه سوف لا ينعدم ، بل يتحلل الى عوامله الأولية . وسيتغذى منها النبات ويتكون منها خشب جديد ، قد يكون مكتب المستقبل .

قال الكيميائيون ذلك ، وقصروا قولهم على المادة لانها مادة عملهم وموضع تجاربهم .

ولو عرض لهذا فيلسوف واسع النظر غير محدود البحث لقال « لا شىء ينعدم »

ان الاعمال من خير وشر لا تنعدم ، بل تنمو وتتحول ، وتؤثر وتتأثر ، ولكن على كل حال لا تنعـــدم ، ان كذبة واحدة تكذبها على أولادك فى بيتك ، ومن غير أن تعيرها اهتماما لا تنعدم ، فسوف تبيض وتفرخ وتنتج كثيراً من أمثالها ، وسوف يكذب أولادك وستخرج الكذبة من حجرتك الى سائر بيتك ، وستخرج من بيتك الى المدرســـة ، وستخرج من المدرسة الى مصالح الناس ومعاملتهم فكيف تنعدم

قد يدق العمل ويصغر حتى لا تراه أعيننا . ولا تسمعه آذاننا ، ولا تشعر به نفوسنا ، ولكنه موجود ، يعمل عمله فى هذا الوجود ، ويفعل وينفعل ، ويتسع نطاقه ، ويعمل فى دوائر مختلفة قد لا تخطر بالبال ، وما أظنك تجهل أن حصاة ترميها فى البحر الابيض المتوسط لابد أن يتأثر بها المحيط الاطلنطى ، وان لم ترذلك عيوننا . والدليل على ذلك بديهى ، فلو كبرت هذه الحصاة ملايين المرات ، أفلا تؤمن بهـــذا الاثر ؟ اذن فآمن بأن هذه من تلك وعلى نسبتها ومقدار حجمها ، وجزء من ألف من الشعرة له ظل حقيقى وان لم تره عيوننا ، ولولا ذلك لما كان لالف ألف شعرة ظل . ولما كان لثوبك الذى تلبسه ظل

وعملك الخير مهما صغر له أثره فى أمتك مهما صغر . أعلنته أو أسررته ، نجحت فيه أو فشلت ، علم الناس أنك مصدره أو لم يعلموا ، وهل مقياس رقى الامة وانحطاطها الا عبارة عن عملية حسابية مركبة من جمع وطرح ؟ جمع لما صدر منها من حسنات ، وطرح لما صدر من سيئات . لتكن هذه العملية أشد ما تكون من صعوبة ، ولتحتج الى ما شئت من آلاف دقيقة للجمع والطرح ، فان رسم الحل لهذه المسألة فى منتهى البداهة

وليس الأمر قاصرا على الاعمال . فاذا قلنا « الاعمال لا تنعدم » فهو تكرير لقول الطبيعيين « المادة لا تنعدم » وهل الاعمال الا نوع من المادة ؟

بل الافكار والآراء من هذا القبيل . فالفكرة لا تنعدم . والرأى لا ينعدم ، فاذا دعوت الى فكرة أو جهرت برأى ، فقد أخرجت الى الوجود خلقا جديدا ينطبق عليه القانون العام ، قد ينجح الرأى وتعتنقه الامة ، بل ويعتنقه العالم وتظهر آثاره فى أعمال الناس وحياتهم ونظامهم . فتسلم معى بأنه لم ينعدم ولكنه قد يفشل ، وقد يستعمل الناس فى اضطهاده وحربه كل أنواع الاسلحة المشروعة وغير المشروعة . والرفيعة والوضيعة . حتى يختفى ولا يظهر فى الوجود ، فتظن اذذاك انه انعدم ، وهو ظن غير موفق ، فقد يختفى ليعود ان كان صالحا ، ولكن كان قبل أوانه ليستتر وينكمش ، ويبقى حيا يتغذى فى الخفاء وتنميه الاحداث . حتى اذا تم نموه وتهيأ الناس له برز الى العيون ثانية أو ثالثة وهو أشد على مقاومة الحرب ، وأقوى على مصارعة الباطل ، حتى يكتب له النجاح — وحتى اذا كان الرأى فاسدا سيئا لا يصلح لحال ولا لمستقبل فليس مما ينعدم ، إنما هو يتحول ويتحور كلوح خشب لا يصلح بحالته ان يكون شباكا فينجر ، أو لوح زجاج ليس بالحجم الذى تريده فيصغر ، أو حديدة لا يناسب شكلها وحجمها فتوضع فى قالب جديد بعد أن تصهر ، وهكذا فى الرأى يغير ويعدل ، ويطعم بآراء أخرى حتى يخرج خلقا آخر ، ولكنه فى كل ذلك لا ينعدم

وفرق كبير بين ان تقول : فشل الراى وفشل المشروع ، وأن تقول انعدم الرأى وانعدم المشروع . فالفاشل موجود والمعدوم معدوم ، وشتان بين الموجود والمعدوم . فالرأى الفاشل أو المشروع الفاشل شيء حي قد تلقى درسا من الفشل ليصبح بعد رأياً قويماً ومشروعا ناجحا ، وهذا لا ينطبق على المعدوم

بل أذهب الى أبعد من ذلك ، وأرى أن العارض يمر على النفس ، أو الخاطر يخطر بالذهن ، لا يضيع ولا يذهب سدى ولا ينعدم ، وانما هو دخان قد يكون بعد سديما ، ثم قد يكون السديم كوكبا يلمع أو نجما يتألق ، وقد يكون على العكس من ذلك صاعقة تحرق ، أو وميضا خلبا يبرق ، وعلى الحالين فسيكون مولوداً جديداً ، شقيا أو سعيداً ، أليس كثيراً مما يعترينا من حزن يسبب الكسل والخمول والملل ، أو فرح يدعو الى العمل ، سببه طائف مجهول لطاف بالنفس ، وخطرة متنكرة خطرت لها ، فغيرت حالها وكيفتها تكييفا خاصا فى هذا الوجود ؟ أوليس كثير من الآراء التى أسبغت على هذا العالم نعما ، وكثير من المشروعات التى عم الناس خيرها أو شرها بدأت خطرة ثم كانت فكرة ، ثم أصبحت بعد عملا أو خيراً ، أليس مما يكون الأنسان خطراته ، فهو خير أو شرير بخطراته ، وهو بائس أو منعم بخطراته ، ولو كشف عنا الحجاب لقرأنا فى صفحات الانسان خطا عميقا خطته فى نفس الانسان خطراته وأراؤه ، وهو أدل على الانسان من مظاهره الكاذبة ، ومناظره الخارجية الخادعة ، «وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » كل هذه الخطرات قد تتحول وتتغير ولكن لا تنعدم

وعلى الجملة فان قال علماء الكيمياء إن المادة لا تنعدم فكل ما فى الوجود يقرر أن « لا شيء ينعدم » . ان كان هذا حقا فويل للخير يقعده عن الخير انه لم ير بعينه آثار عمله ، وويل للخير صرفه عن خيره نكران الجميل وجحد المعروف ، وويل للمجد عدل به عن جده ان لم يسبح الناس باسمه ، ويشيدوا بذكره ، ومرحى لمن كان مبدؤه « الخير للخير ، ولا شيء ينعدم » ؟

بعد حوادث النمسا

النمسا الجمهورية فى خمسة عشر عاما

للاستاذ محمد عبد الله عنان

— ٢ —

انشأت الديموقراطية الاشتراكية الجمهورية النمسوية الجديدة ، وتولت زعامتها وقيادتها اثناء عقد معاهدة الصلح (معاهدة سان جرمان) وتسوية المشاكل الاولى التى خلفتها الحرب ، ولكنها لم تتمتع طويلا بالاغلبية البرلمانية وسلطان الحكم ، ففى سنة ١٩٢٠ خرج الاشتراكيون المسيحيون باغلبية فى الانتخابات ، واختتم الدكتور رنر زعيم الديموقراطية وزارته الثانية ، والف الاشتراكيون المسيحيون اول وزارة لهم برآسة الدكتور « ميز » ، ومن ذلك الحين تتعاقب الوزارات الاشتراكية المسيحية فى حكم النمسا ، أحيانا مستقلة دون ائتلاف ، واحيانا مؤتلفة مع الديموقراطيين الاشتراكيين او الاحزاب الصغيرة الأخرى (مثل الالمان الوطنيين والزراع) وفى العام التالى اشتدت دعوة الانضمام الى المانيا (الانشلوس) فى بعض نواحى التيرول ، واشتدت الازمة المالية ، فاستقالت وزارة « ميز » والف الدكتور شوبر وزارته الاولى فى يونيه سنة ١٩٢١ ، ولكن الوزارة الجديدة لم تستطع ان تغالب الازمة المالية ، وارتفعت الاثمان واشتد الغلاء ، ووقعت كارثة النقد ، فاستقالت وزارة شوبر ، والف المونسيور سيبل وزارته الاولى (مايو سنة ١٩٢٢) ، وابدى فى معالجة الموقف كثيرا من الشجاعة والبراعة ، واستطاع ان يحمل عصبة الامم على الاهتمام بمتاعب النمسا ، وان يجعل من المسألة النمسوية مسألة اوربية ، واستطاع بالاخص ان يعالج مسألة التضخم ، وان يعيد الاستقرار الى النقد ، فهدأت النفوس وانتعشت الآمال نوعا ، وبذل المونسنيور سيبل جهودا تخلق بالاعجاب فى سبيل توطيد شئون الجمهورية الجديدة ، وتذليل مشاكلها الداخلية والخارجية ، ولكنه اضطر الى الاستقالة على اثر محاولة الاعتداء على حياته فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، والف الدكتور رامك بالاتفاق مع الديموقراطيين الاشتراكيين وزارة ائتلافية ، استمرت فى سياسة الاصلاح المالى ، ثم استقالت فى